توطن صناعة تكرير البترول في العراق «١»

محمد أزهر السماك

يهدف هذا البحث الى دراسة توطن صناعة تكرير البترول في العراق. بتطبيق منهج الجغرافية الصناعية. فقد اخذ الاهتمام بدراسة جغرافية الصناعة يتزايد في كثير من دول العالم المتقدمة. نتيجة لتطور علم الجغرافية اولا. ولمكانة واهمية الصناعة المتزايدة ثانيا. وعليه فلا بأس من ان يسهم جغرافيو العراق في دراسة هذا الموضوع الحيوى الجديد للوقوف على اسسه ومبادئه وارساء القواعد الخاصة به. صحيح ان الجغرافي ليس بصانع وقد يتوفر له الشيء القليل او الكثير من الثقافة الصناعية. ولكنه — مع ذلك — يستطيع ان يعالج كثيراً من نواحي المعرفة ومنها الصناعة. معالجة جغرافية تقوم على التحليل والتركيب. على ضوء علاقاتها المتداخلة والمترابطة مع اقليم توطنها وبالعلاقة مع الاقاليم الاخرى ثم الربط بين الحقائق لاعطاء الصورة الكاملة للاقليم من خلال الانماط التوزيعية المختلفة. تلك الصورة التي تعبر عن وجهة نظر علم الجغرافية «٢».

---

(١) اعتمد الكاتب في تحليل وتفسير مقومات الوضع Site-facilities الخاص بكل مصفى على مشاهداته الشخصية اثناء دراسته الميدانية التي غطت معامل التكرير كافة في صيف عام ١٩٦٨.

(٢) اتخذ من تقسيم الامم المتحدة لفئات احجام المصافي العالمية اساسا للبحث، بعد الاخذ بنظر الاعتبار تركيب صناعاتنا ومرحلة نموها وتطورها في هذا التقسيم، وبموجبه اعتبرنا

أ- المصافي (المصانع) التي يتراوح عمالها من ٥-٩ صغيرة الحجم.
ب- " " " " " ١٠-٤٩ متوسطة الحجم.
جـ- " " " " " ٥٠-١٩٩ كبيرة الحجم.
د- " " " " اكثر من ٢٠٠ ضخمة الحجم.

راجع:

Macknight, T. " Manufacturing in Arizona " University of California . Publications in geography, vol. 8, No. 4, Berkaley and Los Angeles 1962, P. 294 .

تحظى صناعة تكرير البترول باهمية بالغة في معظم دول العالم المتقدمة وتعتبر من الصناعات الانتاجية الهامة. ولعل مرجع ذلك الى ارتباطاتها بعدة انواع اخرى من الصناعات، من جهة. وكثرة عدد مستخدميها من جهة اخرى، والتي تعطي الصفات الرئيسية لتوزيع المؤسسات الصناعية عامة. فهذه الصناعة، والصناعات الكيمياوية الثقيلة الاخرى يطلق عليها Location Leaders—قادة التوطن، وعليها يتوقف الرخاء الصناعي الحديث للبلاد.«١».

توجد في العراق ٦ مصاف لتكرير البترول موزعة في كافة انحاء البلاد. فلكل من الوية الرمادى وكركوك مصفى متوسط الحجم،وللبصرة مصفى كبير. اما الوية ديالى والموصل وبغداد فتنعم بمصاف ضخمة شكل رقم «١». يعمل في صناعة تكرير البترول بالعراق٢٦٣٥ عاملا. وتستثمر اكثر من ٢٢ مليون دينار. ويعتبر مصفى الدورة «بغداد» اضخم هذه المصافي جميعا واحدثها. فقد بلغ عدد مستخدميه ١٨٦٧ عاملا،وراس ماله حوالي ٠٠٠ر٨١٤ر١٣ ديناراً اى يعمل به اكثر من ٨ر٧٠٪ من جملة العمال في صناعة التكرير، ويستثمر فيه حوالي ٦ر٦٢٪ من رأسمالها. ويعمل بطاقة تقدر حوالي ٧١٤ر٩١٠ر٣ طنا. ينتج حوالي ٥ر٢ مليون طن سنويا اى انه يضم ٧٣٪ و ٧٤٪ من الطاقة الانتاجية والانتاج الفعلي لمعامل التكرير في العراق على التوالي جدول رقم«١» الشكل رقم «٢».

ومن دراسة الشكل رقم «٤» يتضح لنا ان كلا من مصفى الوند «ديالى» ومصفى القيارة «الموصل» والمفتية «البصرة» يستمد مادته الخام من حقول النفط المجاورة له. اما مصافي كركوك وحديثة «الرمادى» فيتزودان بالبترول الخام من محطات الضخ «الدفع التابعة لشركة نفط العرق وهي محطة K1 «ك ١»

---

(1) Estall, R.C., and, Buchanan, R., O., "Industrial Activity and Economic Geography," (A study of the forces behind the Geographical Location of productive activity in manufacturing Industry), London 1962. P. 167.

كركوك ومحطة K3 «ك ٣» حديثة اضافة الى كون مصفى كركوك يقع بجوار حقول بترول باباكركر . اشهر حقول البترول في العراق قاطبة.

اما مصفى الدورة فيقع بعيدا عن حقول النفط جنوب مدينة بغداد ويزود بالنفط الخام عن طريق الانابيب الممدة اليه من حقلي نفط خانه «ديالى» من جهة . وكركوك « محطة الضخ K2 — ك ٢ عند بيجي » . من جهة اخرى .

وتقوم هذه المصافي بتكرير البترول للحصول على مختلف المنتجات النفطية عدا مصفى القيارة الذى تخصص بانتاج القير « الاسفلت » فقط . ويرجع هذا الى طبيعة نفطه الخام الثقيل الذى ترتفع به نسبة الكبريت والذى لا يتلائم تقطيره والحصول على المشتقات الخفيفة مع وضع مصفاته الحالية الا بعد تحويرها .

ولقد بلغت الطاقة الانتاجية لكافة المصافي عام ١٩٦٥ اكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون طن ولقد غطى انتاجها الفعلي — البالغ حوالي ثلاثة ملايين طن — حاجة السوق المحلية . اضافة الى تصدير حوالي ٢٦.٥٩٠.٠٠٠ غالون من مختلف المنتجات . «١» وقد ارتفعت الطاقة الانتاجية للمعامل سنة ١٩٦٦ الى حوالي ٥.٥ مليون طن . في حين بلغ انتاجها الفعلي حوالي ثلاثة ملايين وثلث المليون طن . وقد سد انتاجها حاجة السوق المحلية ، اضافة الى تصدير اكثر من ٥٣ مليون غالون من مختلف المنتجات «٢». وترجع الزيادة في الطاقة الانتاجية الى تنفيذ مشاريع الخطة الخمسية للسنوات ٦٥-١٩٦٩، التي خصص اكثر من نصفها لمشروعات القطاع الصناعي وما يتصل به . واذا ما علمنا حاجة هذه المؤسسات لمختلف المشتقات البترولية يتبين لنا مدى الزيادة المتوقعة

١- وزارة النفط والمعادن ، مصلحة توزيع المنتجات النفطية، مديرية الاحصاء والابحاث ، التقرير الشهرى عن مبيعات المنتجات النفطية في العراق، مطبوع بالرونيو وغير منشور ، ٢١ مايو ١٩٦٨، ص ٢٩.

٢- مشعل حمودات ، استثمار الغاز الطبيعي في العراق ، المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ديسمبر ١٩٦٧ ص ٢٣.

في الطلب على هذه المنتجات وقد كانت الطاقة الانتاجية عام ٥٧–١٩٥٨ اقل من مليوني طن . ولم تكن تشبع اكثر من ٧٥٪ من حاجة الاستهلاك المحلي. وقد تضاعفت المنتجات المبيعة من هذه المواد من ٣٦٧ مليون غالون عام ٥٧–٥٨ الى اكثر من ٦٩١ مليون غالون عام ١٩٦٦–١٩٦٧ . «٣» ولا تكرر هذه المعامل الا ٨٪ من انتاج البترول الخام في البلاد جدول رقم «٢» الشكل «٣».

جدول رقم «٢»

تطور العلاقة بين انتاج النفط الخام والطاقة الانتاجية

لمعامل تكرير البترول في العراق

السنة	انتاج النفط الخام (طن)	طاقة التكرير «طن»	النسبة المئوية لطاقة التكرير ٪
١٩٥٨/٥٧	٣٤.٩٣٢.٠٠٠	١,٥٠٠.٠٠٠	٤.٦
١٩٦٥	٦٣.١٥٠.٠٠٠	٣,٥٠٠.٠٠٠	٥.٥
١٩٦٦	٦٦,٦٨٠.٠٠٠	٥,٣٧١,٣١٦	٨

وعليه يجب زيادة هذه الطاقة في المستقبل لتتناسب طرديا مع التقدم الصناعي للبلاد ، بعد اكمال مشاريع الخطة الخمسية الاخيرة ، لسد الطلبات المتزايدة على مختلف المنتجات البترولية ، حيث ان معامل التكرير في العراق لم تعمل بكامل طاقتها الانتاجية . الشكل «٥» . ويدل على ذلك ان هناك حوالي ٣٧٪ من اجمالي هذه الطاقة الانتاجية غير مستغل . اى ان الانتاج الفعلي من النفط المكرر يشكل حوالي ٦٣ ٪ من الطاقة الانتاجية . وتعتبر معامل تكرير المفتية والوند والدورة اكثر المصافي العراقية «٧٩٪و٧٣٪و٦٥٪ على التوالي» استغلالا لطاقاتها الانتاجية . اذ تعمل بمعدل اكثر من ٧٣ ٪ من الطاقة الانتاجية .

٣– وزارة النفط والمعادن، المصدر السابق، ص ٢٩.

اما معملا تكرير القيارة وكركوك فيعملان بنسب متقاربة ٤٦٪و٤٣٪ لكل منهما على التوالي. اما معمل تكرير حديثة، فحوالي ٧٠٪ من طاقته الانتاجية معطلة. ويرجع ذلك الى ان الهدف الاسمي من انتاجه هو لسد حاجة شركات النفط العاملة في المنطقة.

جدول رقم «٣»

خطوط انابيب البترول الخام الواصلة الى المصافي العراقية

خط الانبوب	تاريخ الانشاء	القطر بوصة	الطول بالكيلومتر	كمية النفط المحملة بالطن
نفطخانة ــ مصفى الوند	١٩٢٧	٤	٣٥	٢٥٠و٥٠٠
الزبير ــ مصفى المفتية	١٩٥٣	٦	٢٨	٣١٥و٢٠٤
كركوك ــ مصفى الدورة «١»	١٩٥٥	١٢	٣١٧	٢٣١و٢١٥و٢
نفطخانة ــ مصفى الدورة	١٩٦٣	١٢	١٣٧	٠٠٠و٥٠٠و١
كركوك ــ مصفى حديثة «٢»	١٩٣٢	١٢	٢٤٠	٠٥٠و٣٩٥و٤٠

١- انشئ الخط الممتد بين حقول كركوك ومحطة الضخ k2 (بيجي) عام ١٩٣٥ ولكن الخط الممتد بين k2 بيجي الى مصفى الدورة انشئ عام ١٩٥٥، بعد اقامة المصفى المذكور. وبلغ طوله ١٣٤ ميلا ١ر٢٢٨ كيلومترا بقطر ١٢ بوصة.

٢- وهو الخط الرئيسي الذي ينقل بترول حقول كركوك الى موانئ البحر المتوسط ويستقطع منه عند محطة الضخ k3 (حديثة) فقط ٠٠٠ر١٥٠ طن.

× مجلة عالم الاقتصاد، العدد الثاني، السنة الاولى، نيسان، ١٩٦٨، ص ٥٣.

× مشعل حمودات، صناعة النفط في العراق، ملحق مجلة المعلم الجديد، بغداد ١٩٦٦، ص ٤١.

جدول رقم «٤»

خطوط انابيب نقل المنتجات البترولية في العراق

خط الانبوب	القطر بوصة	الطول بالاميال	المنتجات التي ينقلها
١ـ مصفى الدورة ـ مستودع ام العظام	٨	٩	الوقود الديزل
٢ـ مستودع ام العظام ـ مستودع غربي بغداد	٨	٣	= =
٣ـ مستودع غربي بغداد ـ محطة كهرباء الصرافية	٦	٦	= =
٤ـ مستودع ام العظام ـ مستودع الكيلاني	٦	٣	= =
٥ـ مصفى الدورة ـ محطة كهرباء جنوبي بغداد	٦	٣	= =
٦ـ مصفى الدورة ـ معمل شركة سمنت بغداد	٦	٢	= =
٧ـ مصفى الدورة ـ مستودع ام العظام	٦	٩	نفط الغاز
٨ـ مستودع ام العظام ـ مستودع غربي بغداد	٦	٣	=
٩ـ مستودع ام العظام ـ مستودع الكيلاني	٤	٣	=
١٠ـ مستودع ام العظام ـ مستودع غربي بغداد	٦	٩	النفط الابيض
١١ـ مستودع ام العظام ـ مستودع الكيلاني	٤	٣	=
١٢ـ مستودع ام العظام ـ مستودع غربي بغداد	٦	٣	=
١٣ـ مصفى الدورة ـ مستودع ام العظام	٦	٩	بنزين السيارات
١٤ـ مستودع ام العظام ـ مستودع غربي بغداد	٤	٣	=
١٥ـ مصفى المفتية ـ المعقل	٤	٢	بنزين الطائرات
١٦ـ مصفى المفتية ـ خريطلية	٤	١	الوقود
١٧ـ مصفى الوند ـ مستودع خانقين	٤	٥	بنزين ونفط ابيض ووقود
١٨ـ مصفى المفتية ـ خريطلية	٦	١	بنزين الطائرات
١٩ـ مصفى المفتية ـ محطة كهرباء النجيبية	٨	٤	الوقود
جملة الخطوط		٨١	

النقل:

تعتبر تكلفة النقل المقارنة من الضوابط الهامة في تقرير محاسن وعيوب مواقع معامل التكرير. وعليه فان وفرة المواصلات مهمة في تحديد موقع المصفى. بسبب كثرة العمليات الإنتاجية للمصفى فاختيار المواقع يجب ان يقلل من تكلفة النقل بصورة معقولة. «١» وفيما يلي مناقشة وسائط النقل الرئيسية بجغرافية تكرير البترول بالعراق، وهي خطوط الانابيب والسكك الحديدية، والسيارات الحوضية، والنقل المائي.

«أ» النقل بخطوط الانابيب: الجداول المرقمة «٣و٤» الشكل «٤»

وتقسم الى قسمين وهما: خطوط الانابيب لنقل النفط الخام الى المصافي وخطوط الانابيب لنقل المنتجات البترولية المكررة الى الاسواق.

«١» خطوط الانابيب التي تنقل النفط الخام الى المصافي :-

يتضح من الشكل «٤» ان هناك خمسة خطوط رئيسية تصل بين حقول النفط ومصافيه. وهي :

«أ» الخط الذي ينقل النفط الخام من حقول النفط خانة الى مصفى الوند. وطوله ٣٥ كم بقطر ٤ بوصة.

«ب» خط انبوب بترول حقل الزبير الى مصفى المفتية وطوله ٢٨ كم بقطر ٦ بوصة.

«ج» خطان ينقلان النفط الخام الى مصفى الدورة. احدهما: من حقول كركوك وطوله ٣١٧ كم بقطر ١٢ بوصة. وعلى وجه التحديد فان الجزء الموصل بين محطة الضخ ك ٢-k2 عند قرية بيجي ومصفى الدورة. كانت قد انشأته وزارة النفط عام ١٩٥٥. لغرض ايصال المادة الخام الى المصفى. ويبلغ طوله ٢٢٨ كم

1. Miller, E.W., "AGeography of Manufacturing," London 1962. p. 410.

بقطر ١٢ بوصة.اما بداية الخط الممتدة بين حقول كركوك ك ١-K1 محطة الضخ الى بيجي. K2 فقد انشأته شركة نفط العراق عام ١٩٣٢ لغرض نقل البترول الخام الى موانى البحر المتوسط.

والاخر : يبدأ من حقول النفط خانة قرب خانقين في لواء ديالى الى مصفى الدورة طوله ١٣٧ كم بقطر ١٢ بوصة ايضا. وقد انشيء عام١٩٦٣ لغرض تطمين طلبات المصفى المتزايدة للنفط الخام.

«د» الخط الموصل بين محطة الضخ ك ١-K1 كركوك الى محطة ك ٣-K3 حديثة في لواء الرمادى وطوله ٢٤٠ كم بقطر ١٢ بوصة، انشأته شركة نفط العراق. لغرض تصدير النفط الخام الى الخارج.

«٢» خطوط انابيب نقل المنتجات البترولية المكررة :-

هناك تسعة عشر خطا لانابيب نقل منتجات المصافي العراقية الى مراكز الاستهلاك منها ١٤ خطا تتفرع من مصفى الدورة. قسما منها الى مستودعات خزن المنتجات لتوزيعها بالسيارات للمستهلكين والقسم الاخر ينتهي مباشرة عند بعض المؤسسات الصناعية الكبيرة كمحطة كهرباء جنوبي بغداد ومعمل الاسمنت ببغداد جدول رقم «٤». وهي خطوط قصيرة لا يتجاوز اطوال اى منها عن ٩ اميال ومعدل اقطارها حوالي ٦ بوصات وقد خصص كل خط لنقل منتوج معين، هذا ويبلغ معدل الطاقة اليومية لكل منها اكثر من ١٥٠٠ طن من مختلف المنتجات. وقد حققت هذه الخطوط اقتصادا في نفقات النقل. فقد كانت كلفة نقل الطن المتري الواحد بالسيارات اكثر من دينار وربع «١/٢٥٠٠ فلسا» قبل انشاء هذه الشبكة من الخطوط وذلك في منتصف الستينات اما الان فانها اقل من ٦٥٠ فلسا فقط للطن الواحد. وفي ذلك توفير اكثر من ثلاثة ارباع المليون دينار سنويا «٢». وهناك اربعة خطوط اخرى لنقل منتجات مصفى المفتية الى المستودعات

---

(٢) وزارة النفط والمعادن ، مصلحة النفط الحكومية ، قسم الاحصاء والابحاث ، اضبارة التسويق، غير منشور ، ص ٣-٥.

القريبة لغرض توزيعها على المستهلكين، اطولها يبلغ اربعة اميال بقطر ٨ بوصات. وهو الخط الذى ينقل نفط الوقود المازوت ، الى محطة كهرباء النجيبية.

اما الخط الاخير فيذهب بالمنتجات من مصفى الوند الى مستودع خانقين بطول خمسة اميال وبقطر اربع بوصات . لنقل البنزين والنفط الابيض ونفط الوقود، وتقدر الطاقة اليومية لهذا الخط باكثر من ١٢٠٠ طن لكل من هذه المنتجات . « ١ »

ب ـ النقل بواسطة السكك الحديدية :

وتعتبر من الوسائط الهامة لنقل المنتجات النفطية في العراق . خاصة من مصفى بغداد الى مراكز الاستهلاك في كافة ارجاء البلاد، وبشاحنات خاصة بنيت لهذا الغرض . حيث قامت مديرية السكك الحديدية العامة بمد القسم الاكبر من الخطوط الدائمية داخل المصافي العراقية، وذلك بغية ربطها بالخطوط الحديدية العامة لغرض تسهيل توزيع المنتجات وتسويقها. وقد بلغ مجموع ما نقلته احواض السكك الحديدية من مختلف المنتجات حوالي ١/٢ مليون طن عام ١٩٦٦. « ٢ » بكلفة ١/٦٧٦ فلسا للطن الواحد كحدادنى للأجور بالسكك. « ٣ »

جـ النقل بالسيارات الحوضية :

تلعب هذه الواسطة دورا رئيسيا في المناطق البعيدة عن خطوط السكك الحديدية في معظم انحاء العراق ويتجلى دورها الاساسي في الوية العراق الشمالية ومعظم مدن الوسط والجنوب . اضافة الى مراكز غرب البلاد.

ويتم بواسطتها نقل التربان للطائرات A.T.K وكذلك البنكرسي والقير الفله كما تستخدم اللوريات لنقل الغاز السائل بعد ضغطه بالاسطوانات وغير

---

(١) مشعل حمودات، المصدر السابق ، ص ٤٣.

(٢) وزارة النفط والمعادن، المصدر السابق

(٣) رشاد قزانجي ، النقل النهرى في العراق، المؤتمر الهندسي العراقي الثامن بغداد يناير ١٩٦٧، ص ٨

ذلك. وقد بلغ مجموع ما نقل بها اكثر من ١/٨ مليون طن من مختلف المنتجات وذلك في عام ١٩٦٦.

د- النقل المائي :

تستخدم هذه الواسطة لنقل البنزين والنفط الابيض ونفط الغاز وزيت الديزل والنفط الاسود من مصفى الدوره الى المراكز المدنية والمنشآت الصناعية على طول مجرى نهر دجله الى الجنوب من بغداد ، بواسطة الجنائب «الصنادل» النهرية ، ولكن بنطاق محدود جدا لعدم امكانية انتقالها صيفا لضحالة المياه في فترة التحاريق « الصيهود » والتي تستمر اكثر من ستة اشهر.

كما تستخدم هذه الواسطة لايصال منتجات مصفى المفتية الى المراكز القريبة بواسطة نهر شط العرب.

اما مصافي العراق الاخرى فقد حرمت من هذه الواسطه تماما. لطبيعة المنطقة الجغرافية التي تجرى فيها الانهار.

وقد قدرت كميات النفط المصفاة المنقولة بالوسائط النهرية عام ١٩٦٦ باكثر من ٦٠٠٠٠٠ طن من مختلف المنتجات « ٩٠٪ منها من مصفى الدورة «بغداد» » والباقي من مصفى المفتية البصرة » في الجنوب . وقدقدرت تكلفة نقل الطن الواحد بحوالى ٦٠٠ فلسا » وبذا يكون النقل المائي ارخص وسائط النقل بالنسبة لهذه المنتجات. «١»

الخزن :-

تكفي طاقة الخزن لمصافي بغداد وديالى والبصرة لسد متطلبات البلاد من هذه المنتجات لاكثر من اربعة اشهر. تقف خزانات مصفى الدورة في المرتبة الاولى . حيث تستطيع لوحدها ضمان حاجة المستهلكين في العراق لاكثر من شهرين .

وقد نمت هذه القابلية لمصفى الدورة منذ انشائه. ففي عام ١٩٥٩ لم يكن داخل المصفى اكثر من ١٢ خزانا في احجام مختلفة لخزن المنتجات النفطية ، .

١- المصدر السابق ص ٨.

وهذه الخزانات هي :-

أ- خمسة خزانات لزيت الوقود ذات سعة ٧٨٥٧ طنا ومتمثلة بوسائل الخزن المتوفرة حاليا.

ب- خمسة خزانات للنفط الابيض ذات سعة ٧٨٥٧ طنا «٥٥،٠٠٠ برميل» ومتصلة بوسائل الخزن ايضا.

جـ- خزانان لمادة النافثا المعدة للتقوية وبسعة ٧٨٥٧ طنا لكل خزان.

اما الان فقد تضاعف عددها مع زيادة احجام الاحواض الجديدة. اضف الى ذلك انشاء اكبر مستودع للمنتجات النفطية في العراق وهو المستودع الذي بني في اطراف مدينة بغداد، اطلق عليه مستودع ام العظام في الكرادة بقضاء الرصافة بمدينة بغداد، وعلى الضفة الغربية لنهر دجلة تبلغ مساحته ٣٧/٠٠٠ متر مربع وتصب فيه المنتجات بعدة انابيب. «٢»

اما مصافي ديالى والبصرة فتقسم النسبة الباقية من طاقة الخزن بنسبة ٣/٢ الاول و ٣/١ للثاني . هذا ولا تستطيع خزانات مصافي حديثة وكركوك والقيارة بشكلها الحالي ان تزود المستهلكين لاكثر من بضعة ايام محدودة. والحكومة جادة الان في العمل على زيادة سعة الخزن وطاقته لمنتجات المصافي. وذلك لتلبية طلبات السكان لبعض المنتجات ذات النشاط الموسمي كالنفط الابيض. الذي يزداد الطلب عليه شتاء لاستخدامه في التدفئة على نطاق واسع جدا. وهنا يجب على الدولة الا تبالغ برفع طاقة الخزن وزيادتها الا في حدود المعقول ولمجابهة الطوارئ من وجهة النظر الاستراتيجية فقط. بل يجب على معامل التكرير ان تقدر على مجابهة الطلبات الفصلية والاقليمية وتقلل من كلفتي النقل والخزن . «٣»

العمل :

تعتبر الايدي العاملة الماهرة من اهم متطلبات صناعة التكرير والتي يمكن

٢- وزارة النفط والمعادن : مصلحة مصافي النفط الحكومية ، مصافي الدورة بغداد ١٩٦١ص ٥

(٣) Encyclopedia Britannica, Vol. 17, 1966, P. 763.

اعتبارها من العوامل المؤثرة في توطنها. ولما كان عرض هذا النوع من العمل اكثر مرونة في المدن الرئيسية نتيجة ارتفاع المستوى العلمي لذا فقد اعتبرت مدينة بغداد هدف هذه الصناعة. ومع ذلك فان هذه الصناعة تقوم بتدريب عمالها بمراكز التدريب المهنية الخاصة بها. وبصدد هذه الحقيقة يذكر الاستاذ دنيسون Dennision ان الغرض من العمال المهرة يمكن تحقيقه بهجرة العمال وجذبهم الى المناطق التي تفتقر اصلا اليهم ونتيجة لذلك فقد زادت اهمية العوامل الاخرى المؤثرة بالتوطن. «١» ويؤكد هذا الرأى الاستاذ الفريد مارشال Alfred Marshall اذ يقول: «تستطيع الصناعة التي تتطلب عملا ماهرا ان تحصل عليه حسب اختيارها» «٢». وبالفعل فان مصفى بغداد يعتبر مصدر التموين بالعمالة لكافة المصافي العراقية واذا كان هناك توازن في المفاضلة بين اسواق معامل التكرير وعوامل توطنها فان هذا التوازن يختل بصورة محسوسة . اذا ما علمنا بأن مصافي بغداد وديالى والبصرة قد جهزت معظم عمالها بالمساكن الحديثة اذ يبلغ عددها ٤٩٧ منها ٣٣٧ لمنتسبي مصفى الدورة. والباقي لمصفى الوند و كافة الخدمات العامة اضافة الى وسائل الترفيه كالمسارح والنوادي. في حين ان المساكن متوفرة بصورة اعتيادية بالنسبة لمصافي النمارة وحديثة و كركوك. وهكذا فان هذه المصافي لا تضيف تكلفة الخدمات الاجتماعية هذه الى تكلفة التكرير بالمقارنة الدقيقة مع تلك التي في بغداد وديالى والبصرة.

توطن مصافي البترول :-

ينتج النفط الخام في العراق من عدة حقول . بعيدة عن مراكز المدن الرئيسية. كما انها متباعدة عن بعضها في كافة انحاء البلاد. جدول رقم «٥» شكل «٤»

(1) Dennision, S.R, "The Location of Industry and the Depressed Areas," London. 1939, P. 5

(2) Marshall, A., " Elements of Economics of Industry London 1958 pp. 153-154.

لهذا كان من الصعب توطين مصافي البترول عند مصادر المادة الخام. ولقد مرت مواقع مصافي البترول في العراق بمرحلتين هما :ـ

١ـ التوطن جهة المادة الخام: Raw Material-Oriented Oil Refinery

بدأت المرحلة الاولى في العراق في نهاية العشرينات واستمرت الى بداية الخمسينات. وقد انشئ خلالها خمسة مصاف. اقيم اولها وهو مصفى الوند في لواء ديالى عام ١٩٢٧م الذي انشأته شركة نفط الرافدين، والثاني بجوار حقول نفط كركوك في بداية الثلاثينيات والثالث عند حديثة «الرمادى» وأسسته شركة نفط العراق . والرابع في لواء الموصل عند حقول نفط القيارة والخامس في لواء البصرة عند حقول الزبير والرميلة وقامت بانشائهم الحكومة العراقية.

جـــدول رقم (٥)

حقول النفط الرئيسية في العراق (٣)

التسلسل	الحقل	متوسط الانتاج اليومي بالبرميل	تاريخ الاكتشاف
١ـ	عين زالة	١٧/٨٠٠	١٩٣٩
٢ـ	كركوك (باباكركر)	٤٣١/١٠٠	١٩٢٧
٣ـ	نفط خانة	١٣/٠٠٠	١٩٢٣
٤ـ	الزبيـــر	٧٤/٩٠٠	١٩٤٨
٥ـ	الرميلـــة	٤٣٤/٤٠٠	١٩٥٣
٦ـ	بطمـــة	٢/٤٠٠	١٩٥٢
٧ـ	جامبـــور	٢/٠٠٠	١٩٥٤
٨ـ	باي حسن	٨/٣٠٠	١٩٥٣
٩ـ	القيـــارة		١٩٥٠

(٣) مجلة البترول والغاز العربي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٦٨ ص ٣٥.

والحقيقة ان كلا من مصفى كركوك وحديثة قد انشئ عند محطتي الضخ K1 K2 على التوالي وعليه تعتبر محطات الضخ هذه نقاط جذب لتوطن المصافي في مرحلتها الاولى بسبب سهولة الحصول على النفط الخام عند نقاط خطوط الانابيب هذه «١».

في هذه المرحلة كانت عمليات تكرير البترول بسيطة حيث يسخن النفط الخام للحصول على المنتوج الرئيسي «عملية- التقطير او التجزئة» وهو الكيروسين «النفط الابيض» حينما كان الطلب على البنزين وغيره محدودا جدا بسبب ضيق نطاق استعمال السيارات في اوائل هذه المرحلة. فأن الناتج من النفط الخام المكرر كان اقل من ٣٠٪ والباقي كان بمثابة شوائب عديمة المنفعة. وهي التي يشتق منها الكازولين والكازويل وغيرهما من المنتجات العديدة «٢». وهذا يعني ان انتاج الكيروسين كان لا يستطيع ان يتحمل كلفة النقل بهذه النسبة العالية من الشوائب. لهذا فقد توطنت مصافي العراق الاولى عند حقول نفطها الخام.

٢- التوطن جهة السوق :- Market-Oriented Oil Refinery

بدأت المرحلة الثانية لتصفية النفط الخام عام ١٩٣٠ وقد نما هذا الاتجاه من التوطن في اعقاب الحرب العالمية الثانية «٣». ففي هذه المرحلة تقدمت عملية التصفية وزادت تعقيدا وحققت تقدما كبيرا في تنوع المشتقات وزيادتها «٤» وخلال تلك الفترة تقدم استعمال السيارات بسرعة الى درجة انها اخذت تتطلب كازولين «بنزين» من نوعية عالية «ذا اوكتين خاص» لتطمين كفايتها. وفي حزيران-١٩٣٠ نجد ان عمليات البلمرة والتحطيم «قد تطورت بصورة جيدة. وفي عام ١٩٥٠ وجدت عمليات التشكيل بالتحطم Catalytic reforming process

(1). Estall, R. C., and, Buchanan, " Op. Cit., " pp. 24-30 .
(2). Hildeeb, M.M., "The Location of Modern Industry in Lower Egypt." Thesis submitted for the degree of ph.D., unpublished, Vol. I, New castle January 1966, p. 186.
(3). Odell, K.P., "An Economic Geography of Oil," London 1963. P. 111.
(4). Miller, E.W., "Op. Cit.", p. 409.

ان هذا التقدم التكنولوجي السريع قد مكن المصافي الحديثة من الاستفادة من اكثر من ٩٠٪ من النفط الخام في الحصول على المنتجات المتنوعة. وان ٥٪ ـ ١٠٪ من حجم الخام تطرح كمواد عديمة الفائدة بعمليات التكرير «٥». ونتيجة لهذا التقدم فان كمية المصادر الضرورية لتصفية برميل من النفط الخام من ناحية رأس المال والعمل والوقود والوقت كانت عام ١٩٦٠ اقل بكثير عما كانت عليه الحال اعقاب الحرب الاولى «٦» وتعتبر عملية تكرير البترول في الوقت الحاضر من العمليات الصناعية للصناعة التحويلية بكل معنى الكلمة. وقد كان هذا التقدم التكنولوجي سببا في زيادة استهلاك منتجات البترول بسبب التطور الاقتصادي خاصة منذ ان بدأت الصناعة في العراق عام ١٩٣٠ وكانت من نتيجة ذلك كله ان حدثت تغييرات رئيسة في العوامل الاقتصادية المؤثرة في مواقع مصافي البترول. فتحررت المصافي من مصادر المادة الخام. ولم يكن هذا مؤثرا على معامل التكرير وحدها. بل اثر حتى على تصنيع البلاد. لقد بنى خطان جديدان لنقل النفط الخام : الاول في سنة ١٩٥٥ من محطة الضخ K٤ يجري الى مصفى الدورة: والثاني عام ١٩٦٣ من حقول النفط خانة الى المصفى المذكور «الشكل ٤».

وقد تم انشاء مصفى بغداد هذا . عند اكبر مناطق السوق الاستهلاكية في البلاد. ويمكن اعتبار مصفى المفتية «البصرة» من هذا النوع رغم وقوعه بالقرب من حقول نفط الزبير. حيث كان الهدف من انشائه في اوائل الخمسينيات لسد حاجة السوق في جنوب العراق بعد توقف مصفى عبدان الايراني اثر تأميم البترول في ايران.

ورغم ان المصافي المتوطنة في السوق بالعراق. استطاعت ان تغطي تكاليف نقل النفط الخام بواسطة بعض منتجاتها وسهولة توزيعها وايصالها للمستهلكين باقل تكلفة. فانها قد فرضت على المستهلكين اسعارا اضافية على المنتجات رغم

(5) Manners, G., "The Geography of Energy," London 1964, p. 183.

(6) Encyclopedia Britannica, "Op. Cit.," p. 763.

انها لم تتحمل اية زيادة في تكاليف الانتاج بسبب بعدها عن المادة الخام.

وفي نفس الوقت فان عاملا تكنولوجيا اخر عمل بقوة على زيادة انتاج مصافي السوق، وهو عامل الانتاج على نطاق واسع وازداد الاستهلاك نتيجة لبدء عمليات التصنيع في العراق. وهذا يعني ان حجم السوق لمنطقة بغداد قد اتسع الى درجة يستطيع معها ان يصرف كل انتاج مصفى الدورة تصريفا كاملا وبتكلفة اقتصادية معقولة «١».

وقد وجد ان نقل المنتجات النفطية الى اسواق الموصل في الشمال وسد حاجة اسواق البصرة في الجنوب يكلف من ناحية اقتصادية خاصة بعد تنفيذ مشروعات الخطة الخمسية، وقد وضعت التصاميم لانشاء مصفين كبيرين فيهما. وهما يتمتعان بمواقع استراتيجية لتزويد هذه المناطق بحاجتها من الوقود، خلال البدء في عمليات الانتاج. فالاعتبارات الاستراتيجية من المميزات القومية التي يجب ان يحسب لها الحساب عند تحديد مواقع المصافي «٢».

والخلاصة: ان كافة منتجات معامل التكرير اصبحت ملائمة للاستهلاك. وانقلبت المساوئ لمواقع المصافي بجانب الاسواق الاستهلاكية الى محاسن. وكان ذلك نتيجة التقدم التكنولوجي. وعلى هذا الاساس يمكن تحديد الضوابط المؤثرة في توطن المصافي بمناطق السوق على الوجه الاتي :-

١- من الاسهل جلب مادة واحدة وتحويلها الى مائة منتوج على اختلاف الانواع للتوزيع والاستهلاك من الحقول بدلا من جلب انواع متعددة من المنتجات من المصافي الى السوق «٣».

---

(١) للدلالة على اهمية حجم السوق والانتاج الواسع نذكر هنا ما اورده الاستاذ جير الدمانوس: اذا كانت تكلفة راس المال للطن الواحد من المنتجات البترولية لمصفى طاقته ٥ ملايين طن سنويا هي ١٠٠ ، فان المصفى الذي تكون طاقته ٣ ملايين طن هي ١٢٣ ، والذي طاقته مليون واحد هي ١٩٠.

Manners, G., "Op. Cit.," p. 185.

(2) Odell, R.P., "Op. Cit.," pp. 112-113.

(3) Zimmermann, E., "World Resources and Industries," Revised Edition, New york 1950, pp. 514-515.

٢ـ ان المصافي التي تقام في السوق تستطيع ان تحصل على نفطها الخام من عدةحقول . بينما المصافي المتجهة نحو المادة الخام او الانتاج كما تسمى: Production-Oriented Refinery تعتمد على ناتج حقل او منطقة واحدة.

٣ـ الحجم العظيم ـ من الارخص شحن حجم صغير من النفط الخام بدلا من شحن الحجم الاكبر المتجمع للمنتجات المختلفة .

٤ـ وسائط نقل النفط الخام: اكثر بساطة واقل كلفة بعكس وسائط نقل المنتجات.

٥ـ تفقد منتجات البترول بالتبخر من اوزانها اكثر مما يفقده النفط الخام «١».

وهكذا نجد ان التحسينات التكنولوجية اثرت على نماذج التوطن من خلال التغيرات في عمليات تصنيع المادة الخام وكلفة النقل والطاقة ومتطلبات العمل «٢» .

فالموقع المثالي لمعامل التكرير يتحدد عندما تصل كلفة الحصول على النفط الخام من مصادره الى المصفى . ومن ثم منتجات التكرير الى اسواق الاستهلاك الى حدها الادنى. مع الاخذ بنظر الاعتبار العامل السياسي الذي يبلغ تاثيره على نماذج توطن المصافي درجة كبيرة والذي يمكن ان يغير جغرافية التكرير «٣» .

مقومات الموضع Site-Facilities

المكان :

ان مصفى تكرير البترول يتطلب مساحة واسعة من الارض خاصة بالنسبة

(1). Alexander, W.J., "Economic Geography," New Jersey, 1963, PP. 346-347

(2). Hoover, M.E., "The Location of Economic Activity, New york 1948, P. 184

(3). Manners, G., "Op. Cit.," PP. 183-193.

لاحواض الخزن «٤» اذ تتطلب احواض الخزن مساحات معقولة فاصغر المصافي يتطلب اكثر من ١٠٠ فدان «ايكر» واكبرها غالبا ما يحتاج لاكثر من ١٠٠٠ فدان، لذا فوفرة الاراضي الاحتياطية يجب ان توخذ بنظر الاعتبار عند اختيار موقع المصفى. كما يوخذ بعين الاهمية ايضا ارض المصفى من حيث الانحدار. فالخزانات يجب ان تكون بمستوى مرتفع حتى تنساب المنتجات الى مناطق التصفية «٥» وهذه الصفة ـ الاراضي الواسعة ـ قد عملت على توطين مصافي النفط في العراق بعيدا عن المناطق المسكونة. حتى تكون بعيدا عن المنافسة مع اوجه الاستغلالات الاخرى للحصول على الارض ولكي تحصل على الارض باسعار منخفضة.

فمصفى الدورة يقع على بعد ١٧ كم جنوب غربي مدينة بغداد ويشغل مساحة ٨٠٠ دونم تقريبا «٦» اضافة الى الاراضي الفسيحة المجاورة التي استملكها المصفى حاليا لمجابهة احتمالات التوسع في المستقبل. وهي تقع على المدخل الجنوبي لمدينة بغداد، في حين ان نمو المدينة في اتجاه الشمال والشرق. وينطبق هذا على مصافي حديثة والقيارة والمنتية والوند. اما مصفى كركوك فانه يقع في الجهة الشمالية لمدينة كركوك بالقرب من محطة الضخ وسط منشآت نفط العراق لذا فمن الصعب عليه الحصول على الاراضي لتوسيع المصفى في المستقبل.

ان الخوف من نشوب الحرائق هو من الضوابط الاخرى التي تلعب دوراً هاماً في توطن المصافي بعيدا عن المناطق المسكونة. فيجب اعادة توطين مصفى كركوك بعيدا عن محطة الضخ حيث الاراضي الفسيحة المجاورة له. ولتقليل خطر اندلاع النيران في المنطقة مما قد يتسبب في تدميرها.

---

(4). Alexander, W.J., "Op. Cit.," PP. 345-346.
(5). Miller, E.W. "Op. Cit.," PP. 409.

(٦) الدونم يساوي ٢٥٠٠ م٢

ويقع مصفى الوند وكركوك وقيارة في المنطقة المتموجه حيث البنية الجيولوجية القوية للصخور الكلسية والتي جعلت اراضي المصفى اكثر تحملا للضغوط العالية والانشاءات الثقيلة. اما مصفى حديثة وبغداد والمفتية فيقع الاول في قلب الهضبة الغربية. والثاني في مقدمة السهل الرسوبي . والثالث في الاطراف الجنوبية لهذا السهل .

فالتركيب الجيولوجي لاراضي هذا المصفى اقل صلابة من اراضي المصافي الاخرى ، وبالاخص ارض مصفى المفتية التي وقفت حائلا دون امكانية تطوير معداته الحالية واستبدالها باخرى حديثة . تتمتع بطاقات اكبر .

هذا ولكل من مصفى بغداد والمفتية والوند والقياره . محطات لتوليد الطاقة الكهربائية الخاصة بكل منها اما مصافي كركوك وحديثة فتعتمد على المحطات الخاصة لتوليد الكهرباء العائده الى شركة نفط العراق .

المياه :-

تقع المصافي العراقية البسته على طول مجاري المياه العذبة . فمصفى بغداد قد توطن على الضفة الغربية لنهر دجلة . عند احدى انشاءات هذا النهر الرئيسية تاركة موضع المصفى كشبه جزيرة على النهر المذكور .

وقد توطن مصفى الوند على الضفة الجنوبية لنهر «الوند» . احد فروع نهر ديالى ، أما مصفى المفتيه فقد اقيم عند ضفة نهر «شط العرب» الجنوبية. وبالنسبة لمصفى حديثه فانه يقع على «نهر الفرات». ومصفى القياره يقع على ضفة نهر «دجلة» الغربية. اما مصفى كركوك فيقع على احد فروع نهر «العظيم» المعروف بنهر «الخاصه». ولكن ونتيجة لانخفاض منسوب المياه فيه صيفا وتقطع جريانه فقد انشئت ترعه توصل مياه الزاب الصغير الى مدينة كركوك. وتعرف بترعه «زاغوتين» .

وتعتبر هذه الظاهرة لمواقع معامل التكرير ظاهرة طبيعيه. اذا ما علمنا ان هذه الصناعه تتطلب كميات كبيرة من المياه. وفي الحقيقة لتصفية لتر واحد.

من النفط الخام نحتاج الى ١٨ لتر من الماء العذب «١». لذا فان امكانية الحصول على المياه العذبة لتلبية حاجة المصفى بصورة منتظمة ومستمرة وبكميات كبيرة. تعتبر احدى الضوابط الجغرافية الحاسمة التي تشجع المصافي لتبقى في مواضعها الحالية .«٢»

تصريف فضلات عمليات التكرير :-

من اكثر المشاكل صعوبة في اختيار موضع المصفى ايجاد منافذ لتصريف فضلات او بقايا عمليات التكرير التي غالبا ما تحتوى على مواد كيمياويه وبقايا من الزيت الخام Refuse Oil .

والحقيقة ان كافة مصافي العراق تفتقر لوجود مصارف خاصة بها. فهي بحكم توطنها على مجارى الانهار تقوم، بتصريف بقاياها الى الانهار. وذلك بعد ان شق كل مصفى قناة له خصصت لهذا الغرض وتجرى هذه العملية عادة في فترة ارتفاع منسوب المياه.

وعلى كل حال فان هذه الطريقة ستلحق ولو بالأجل الطويل- اثار سلبيه بموارد الثروه السمكية وبصلاحية المياه لاستعمالات سكان المدن التي تقع الى الجنوب على طول مجارى الانهاره

ففي معظم دول العالم المتقدم تفرض على معامل التكرير بناء حفر واسعة

١- United Nations, "Water For Industrial Use", New York 1958' P. 24

في السويد مثلا يحتاج الطن الواحد من النفط الخام لتكريره ١٠,٠٠٠ لتر من الماء.

٢- ان المصفى الذي طاقته ٢٥,٠٠٠ برميل يوميا تقدر حاجته لمياه العذبه بحوالي ١٥-٢٠ مليون غالون يوميا ، وهذا اكثر من جريان مياه مجرى صغير وتختلف كمية المياه التي يتضنبها المصفى باختلاف نموذج المصفى والظروف المناخيه لمنطقة المياه .

Miller E.W. "Op. Cit.," PP. 409-410.

«خنادق» لتصريف فضلاتها بجوار ارض المصفى «١».

واخيرا، فان للرياح السائدة في العراق اثرا في مواقع هذه المصافي. فهي تقوم بنقل الروائح الكريهة والغازات الى المناطق السكنية؛ فهناك نوعان من الرياح السائده ، هما :

١ــ الرياح الشماليه الغربيه ٢ــ والرياح الجنوبيه الشرقيه. فمصافي بغداد والمفتيه وحديثه والقياره تتمتع بموقع ممتاز بالنسبة لهذا العامل. اما مصافي ديالى وكركوك فتقع في مهب الرياح الشمالية الغربية معظم ايام السنه وما ينطوى على ذلك من اثار سلبيه في جو المناطق المجاورة، فضلا عن الاضرار التي تلحق الابراج العاليه لمعامل التكرير نتيجه للترسبات Sulphur وبالتالي اضافة تكلفة صيانتها المستمرة الى تكلفة الانتاج بهذين المعملين وفي النهاية زيادة اختلاف التوازن بين اسواق معامل التكرير في البلاد .

---

(1) Ibid, p. 410.

أعلام الصوفية في خراسان

في القرنين الثاني والثالث الهجري

الدكتور عبد محمد نوري

ظهرت حركة الزهد في الاسلام حيث ان محمدا «ص» واتباعه الاولين كانوا يقومون الليل كله او بعضه تهجدا وعبادة . وقد وضع الاسلام لاتباعه حدوداً وشروطا تمت بصلة الى الزهد كالصوم والصلاة والحج والزكاة وتحريم الخمر . ولكنه ،في الوقت نفسه ،لم يحرم الاسلام على اتباعه التمتع بزينة الله التي اخرجها لعباده من الطيبات: قال تعالى: « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » «١». ومع ذلك، تحدثنا المصادر بأن فئة من المسلمين الاوائل قد سلكوا طريق الزهد وهم اهل « الصفه » وكان هؤلاء من اصحاب رسول الله. لا منازل لهم؛ فكانوا يأوون الى صفة بناها الرسول خارج المسجد بالمدينه. «٢» وقد انفرد القرن الاول في الاسلام بالعوامل الكثيرة التي شجعت على ظهور الزهد. والدين الاسلامي كان المشجع الاساس لهذه الحركة. قال تعالى: « يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم. ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

---

(١) الاعراف ، آية ٣٢ .

(٢) ابن سعد ، ابو عبدالله محمد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٦٠؛ ج ١ص ٢٥٥ ، انظر بالتفصيل : الاصبهاني ، ابو نعيم ، حلية الاولياء، بيروت ١٩٦٧ ،ص ٣٣٧ الى ص ٣٨٥ .

«٣» وقال: « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله: والله رؤوف بالعباد » «٤». وفي الوقت الذي احتضن الاسلام حركة الزهد على اعتبارها حركة دينية من صميم تعاليم الاسلام الروحية وقف بشدة ضد الرهبانية التي هي بدعة ابتدعتها المسيحية، قال تعالى: « ... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ... » «٥» وقال الرسول «ص» مؤكدا على ما جاء في القرآن: « لا رهبانية في الاسلام » «٦».

ونبتت حركة الزهد في ظروف سياسية شاذة في القرن الاول الهجرى فالحروب الاهلية الطويلة الامد في عهد الصحابة وبني امية والتطرف العنيف الذي اتسمت به الاحزاب السياسية وما عانى المسلمون ممن اخلصوا في اسلامهم من قبل بعض الحكام المستبدين، أدى بطبيعة الحال. الى ازدياد شعور المؤمنين بالزهد في الحياة الدنيا ومتاعها ووضعوا امالهم في الاخرة ووجدوا في القرآن والسنة خير موجه في حياتهم الزهدية. ووقفوا موقف اللامبالاة تجاه الحكام آنذاك.

ولكن حركة الزهد اصبحت بالتدريج قوية وعنيفة وانتشرت في جميع بقاع المسلمين فبعد ان كانت حركة الزهد دينية خالصة في بادىء الامر دخلت اليها بعض العناصر الصوفية وتحولت في النهاية الى اقدم صورة نعرفها في التصوف الاسلامي في القرن الثالث الهجرى وما يليه ولعب الزهاد

---

(٣) الصف، آية ١٠ وآية ١١.

(٤) البقرة آية ٢٠٧.

(٥) الحديد، آية ٢٧. انظر كذلك: التوبة، آية ٣١؛ المائدة، آية ٣٢. النور الآيات ٣٦، ٣٧: ٣٨.

(٦) الشوكاني، محمد بن علي: نيل الاوطار، شرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار، القاهرة ١٩٥٢، ج ٦، ص ١١١: وفيه ان هذا الحديث لم يذكر بهذا اللفظ عند الطبراني « ان الله ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة ». انظر كذلك: طبارة، عفيف عبدالفتاح روح الدين الاسلامي، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٤٣.

الخراسانيون الدور الرئيسي في نمو هذه الحركة «٧» .

وكان القائمون على حركة الزهد في خراسان من اشهر اتقياء المسلمين على المذهب الحنفي. ونالت الحركة العطف الشديد من قبل الحكام وانعموا على بعض هؤلاء الاتقياء بالوظائف الادارية والدينية كرئاسة المدن والقضاء والخطبة «٨». وزهد البعض الاخر بهذه الوظائف كما زهدوا بالحياة الدنيا ومتاعها ، وحولوا انظارهم نحو الاخرة ووضعوا آمالهم فيها.

فبرز من الزهاد في خراسان في القرن الثاني الهجرى اعلام اثروا على حركة الزهد وكان من ابرزهم: ابراهيم بن ادهم البلخي وعبد الله بن المبارك.

اما ابراهيم بن ادهم فهو من مدينة بلخ في خراسان وقيل عنه: انه كان اميراً « حاكماً » في بلخ. ولكنه زهد في الحكم ولبس الصوف وهام على وجهه في بلاد الشام. يعيش من كسب يده من حراسة البساتين وغير ذلك، ودخل البادية ثم دخل مكة وصحب الفقيه سفيان الثورى « ت ١٦١هـ/٧٧٧م » والفضيل بن عياض « ت ١٨٧هـ/٨٠٣م » ودخل الشام ثانية ومات بها سنة

---

(٧) نيكلسون ، في التصوف الاسلامي وتاريخه . ترجمة ابي العلا عفيفي ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ ص ٤٣ وما يليها : البير نادر ، التصوف الاسلامي ، بيروت ١٩٦٠ ، ص٩ : وحول الزهد والتصوف وتطوره انظر : نيكلسون ، الصوفية في الاسلام ، ترجمة نورالدين شريبة ؛ القاهرة ١٩٥١ ؛ وانظر كذلك :

Massignon,L., Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique Muslumane, (Paris 1922 : Amedroz, H.F., Notes on some Sufi lives, Journal of the Royal Asiatic Society (1912) p.p. 551-86: Ency. of Religion and Ethics, Edinburgh, (1963 and 1964) articals " Asceticim," "Sufis".

(٨) Nouri, M.M., The Scholars of Nishapur, Theisis, Ph.D. (Edinburgh 1967) vols., 11, p.p. 631-36.

١٦٢هـ/٧٧٨م «٩» . ويعتقد نيكلسون Nicholson بان للغنوصية المسيحية اثرا على التصوف الإسلامي عن طريق ابراهيم بن ادهم «١٠».

ولقد اشار ابراهيم بن ادهم الى العقبات الست التي لا ينال السالك درجة الصالحين حتى يجتازها والتي تشبه بالابواب السبعة عند الغنوصية والعقبات الست التي ذكرها هي :

اولاها : تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة .

والثانية : تغلق باب العز ، وتفتح باب الذل .

والثالثة : تغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجهد .

والرابعة : تغلق باب النوم ، وتفتح باب السهر .

والخامسة : تغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقر .

والسادسة : تغلق باب الامل ، وتفتح باب الاستعداد للموت . «١١»

اما الابواب السبعة عند الغنوصية فملخصها انها لا تفتح للنفس — وهي سائرة في طريقها الى الخلاص — الا اذا حصلت « المعرفة » او العلم الباطن. واجتازت الحراس القائمين على هذه الابواب واحدا واحدا . واذا تم ذلك ينال السالك درجة الصالحين . ويعتقد نيكلسون ان المذهب الغنوصي اصابه بعض التغيير على ايدى مفكرى المسيحية واليهودية ، وبعد امتزاجه بالفكر اليوناني اصبح مصدر الهام لمفكرى التصوف الاسلامي . واكد نيكلسون اننا لو درسنا الظروف التاريخية التي احاطت بنشأة التصوف الاسلامي

---

(٩) السلمي ، ابو عبدالرحمن ، طبقات الصوفية ؛ ليدن ، ١٩٦ ، ص ٣٠ : الشعراني ، عبدالوهاب : الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار ؛ القاهرة ١٨٩٨ ج ١ ؛ ص ٦٩ .

القشيري ، ابو القاسم ، الرسالة القشيرية ؛ تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود و محمود بن الشريف ؛ ج ١ من ص ٥١ الى ص ٥٣ .

(١٠) نيكلسون ، التصوف الاسلامي ؛ ص ١٧ ومايليها .

(١١) القشيري ج١ ؛ ص٥٣ .